

نماذج من كتابات حول جبران خليل جبران

(وفقًا للتسلسل الزمنيّ)

تبدو وحشته مطلقة، ولا كآبة تشوبها أو ندم. والألم هو ملكه كحقّ من حقوقه - ولا حاجة له للتعزية أو الشفاء. و"مجنونه" عطشان إلى ذات "دمه". وكذلك خليل. وهو يعتقد أنّ "يسوع" شاء الموت، بل شاء أن يُصلب، "تعبيراً عن رغبة" - تعبيراً عن الرغبة الوحيدة التي ترضيه. - وإذا كان الآن في أحد الكواكب الأخرى فلا أستبعد أن يكون قد صُلب هناك. "وسوف يُصلب" إلى أن يقضي مأربه - ولا فرق كمّ مرّة يُصلب.

ويتضمّن "مجنونه" حواراً هائلاً مع "الليل". وهذا الحوار، بكتافته، هو "كأسلوب حياة" - وبملاحظاته حول ما ندعوه "قوة" أو "باعثاً"، وبتصويره إيّاهما وكأنّ لهما وجوداً شخصياً - جعلني أتحقّق أن حاسته بوجود الكائنات وبالأشكال، إنّما تفوق نطاق ما نسميه بشريّاً.

وسألته ما الكتب التي يفضلها، أجاب: "شكسبير" - و"أيّوب" - وأعتقد أنّ قسمًا كبيراً من التوراة والأنجيل عظيم - ثمّ "كتاب الأموات".

ماري هاسكل،

"يوميات، الأحد ٣٠ آب ١٩١٤، نيويورك" في نبيّ الحبيب، رسائل الحبّ بين ماري هاسكل وجبران مع مذكرات ماري هاسكل، الجزء الثاني (١٩١٤ - ١٩١٨)، جمعها فيرجينيا حلو، نقلها إلى العربيّة عن الأصل الإنكليزيّ الأب لوران فارس، راجعها يوسف الحوراني، بيروت، دار الجريدة - الأهلّيّة للنشر والتوزيع، ١٩٧٤، ص ٥٦ - ٥٧

####

جبران الشاعر الناثر الأديب الفيلسوف، جبران أبو القصّة اللبنانيّة الحديثة، جبران الخالق أدباً لبنانيّاً شقيقاً. فموسيقاه من عيوننا وجداولنا، ورهبته من أدويتنا وكهوفنا، وأجته من ربانا وقمنا، وسفينته من أحشاب غاباتنا، ومداد ألوانه من قوس قزح لبنان. جبران الذي عاش لبنانيّاً بين ولولة المعامل وعجيجها، فما التهي بجسر بروكلين عن قنطرة المدفون، ولم ينسّ نواح المعصرة وهزج البيادر، فنظم لبنان نشيداً سليماً. استوحى هذا الجبل فكان له برقه ورعده، وصواعفه وعواصفه، وصفائه وهدهده. لم يبال بناطحات السحاب، فمات وهو يحنّ إلى شماليّ لبنان. رأى الخلود كلّ على القرنة السوداء فنام نومة الأبد مغطّى بأذيال برقعها، الناصع البياض.

مارون عبّود،

من المجموعة الكاملة، في الدراسة، المجلد ٢، جدّد وقدماء، دراسات ونقد ومناقشات، الطبعة الثالثة، بيروت، دار مارون عبّود؛ دار الثقافة، ١٩٧٨-١٩٧٩، ص ٥٥١.

^١ [يُفترخ جمع شماليّ، ومن معانيه رؤوس الجبال أو أعالي السحب].

####

... إننا لا نتفق في موضوع الزواج يا جبران. أنا أحترم أفكارك، وأجلّ مبادئك، لأنّي أعرفك صادقاً في تعزيزها، مخلصاً في الدفاع عنها، وكلّها ترمي إلى مقاصد شريفة، وأشاركك أيضاً في المبدأ الأساسي القائل بحريّة المرأة. فكالرجل يجب أن تكون المرأة مطلقة الحريّة بانتخاب زوجها من بين الشبان، تابعة بذلك ميولها وهاماتها الشخصية، لا مُكَيِّفة حياتها في القالب الذي اختاره لها الجيران والمعارف، حتّى إذا ما انتخبتُ شريكاً لها تقيّدت بواجبات تلك الشركة تقيّداً تامّاً. أنت تسمّي هذه سلاسل ثقيلة، حبكتها الأجيال، وأنا أقول إنّها سلاسل ثقيلة، نعم، ولكنّ حبكتها الطبيعة التي جعلت المرأة ما هي. فإنّ توصلّ الفكر إلى كسر قيود الاصطلاحات والتقاليد، فلن يتوصّل إلى كسر القيود الطبيعيّة لأنّ أحكام الطبيعة فوق كلّ شيء. لأنّها باجتماعها هذا السريّ، مهما كان طاهرًا، تخون زوجها، وتخون الاسم الذي قبلته بماء إرادتها، وتخون الهيئة الاجتماعيّة التي هي عضو عامل فيها.

... إنّني أشعر شعوراً شديداً بالقيود المقيّدة بما المرأة، تلك القيود الحريّة الدقيقة كنسيح العنكبوت، المتينة متانة أسلاك الذهب. ولكنّ إذا جوّزنا لسلمي، "سلمى كرامة بطلّة الرواية"، ولكلّ واحدة ثمائل "سلمى" عواطف، ودكاء، وسموّ، الاجتماع بصديق شريف النفس، عزيزها، فهل يصحّ لكلّ امرأة لم تجد في الزواج السعادة التي حلمت بها وهي فتاة أن تختار لها صديقاً غير زوجها، وأنّ تجتمع بذلك، على غير معرفة من هذا، حتّى وإن كان القصد من اجتماعهما الصلاة عند فتى الأجيال المصلوب؟

مي زيادة،

"آراء جبران في الزواج وقيوده، والحبّ وأطواره"، نقلاً عن الشعلة الزرقاء: رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة، تحقيق وتقديم سلمى الحفار الكزبري وسهيل بشروني، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، ١٩٧٩، ص ١٠-١١.

####

وضع جبران لكتابه "النبي" اثني عشر رسماً. عشرةٌ منها بالأدهان المائية، واثان بالرصاص، وهما: رسم المُصطفى في أوّل الكتاب، و"اليد المُبدعة" في آخره. [...].

وأما "اليد المُبدعة" فيدّ منبسطة تكاد تلمس قوّة الفنّ في كلّ إصبع من أصابعها. وفي وسط كفّها عين مفتوحة تبصر كلّ شيء. ومن حولها دائرة من الأجنحة المتلاصقة بأطرافها وكأنّها في زوبعة من الحركة السريعة. ومن حول الأجنحة سديم أو ضباب تطوّقه دائرة من الأجسام البشريّة المشبّكة بعضها ببعض. هذه يد الله. في لمسها بصر. وفي بصرها خيال. تتخيّل الأشكال قبل أن تكوّنهما. ثمّ تلمس السديم فتكوّن الأشكال. ولعلّ جبران، عندما رسم هذه اليد، عاد بالذكري إلى "يد الله" من صنع رودين. لكنّه إذا ما أخذ منها الفكرة الأساسيّة، فقد أعطاهما من فته كياناً استقلّت به كلّ الاستقلال عن يد رودين.

ميخائيل نعيمة،

"المُصطفى" في المجموعة الكاملة، المجلّد الثالث، جبران خليل جبران، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩، ص ٢٣٣-٢٣٤.

####

أما التمرد، العصب الأساسي في شخصية جبران الأدبية، فقد تحوّل بعدئذٍ إلى تيار شامل تجسّد في هذه الموجة من الرفض والانفعال الثوريّ الذي يضيق بواقعه، والتي اجتاحت أوساطنا الثقافية عند إطلالة الاستقلال وما بعده. وقد يكون فؤاد سليمان في "تموزيات" أحد أهمّ ممثليّ هذه الموجة وأقربهم إلى الروح الجبرانيّ، للعصبية النزقة، والخطرات الشعرية الرومنطيقية، والطريقة الإنشادية، التي يتّصف بها أسلوبه، فضلاً عن التمرد على الواقع والحلم بعالم جديد.

وتأتي اللغة في رأس هذه الأمور من الواقع الذي تمرد جبران على التقليد فيها، وتمرد معه نفرٌ غير قليل من الأدباء خصوصاً منهم الناشئين. فبعد أن كان الأسلوب الكتابي متفوقاً في هياكل التعبيرات القديمة، وبعد أن كان الأدب نوعاً من البهلوانيات اللغوية الطريفة أو الغريبة، ونوعاً من الإعجاز، صار النظر إليه بعد الثورة التي فجرتها "الرابطة القلمية" وعلى رأسها جبران، يميل إلى اعتبار الفكرة في تزواجها الإيقاعي مع التعبير قاعدة مثلى للكتابة، بالرغم من تعنت المحافظين المخضرمين من الأدباء في مهاجمتهم لموجة التجدد هذه. وقد عبّر ميخائيل نعيمة في "الغربال" أصدق تعبير، وأعطى أوضح صورة عن المفاهيم الأدبية الجديدة التي حملت لواءها "الرابطة القلمية". وهكذا لم يُعدّ الأدب محصوراً برياضة اللسان، بل صار رياضة روحية عقلية، جديدة الفكر، جميلة التعبير، تنفذ إلى لبّ القارئ وتفعل فيه الشيء الجميل في من يهوى الجمال، وفعل الحقّ في من يهوى الحقيقة.

غسان خالد،

من كتاب جبران الفيلسوف، شخصية العبقري في منافذ خلاصها، النقد الاجتماعي والبنية الفردوسية، جدلية الإنسان والألوهة، طبعة ٢ معدلة ومضاف إليها، بيروت، مؤسسة نوفل، ١٩٨٣، ص ٢٨٨-٢٨٩.

####

أديب لبنانيّ في الطليعة من أدباء العرب في المهاجر الأميركية: كاتب، شاعر، قاصّ، من أشهر حملة الأفلام في النهضة الأدبية، ولعله أكبر كاتب رمزيّ عرفه الأدب العربيّ الحديث. تفتّحت مداركه على الحرّية في المهاجر الأميركية، فدعا إلى الحرّية، وإلى الثورة على العبودية، آية عبودية، وإلى التحرّر من الجمود والقيود، وإلى إصلاح المدنية الحديثة بروح الشرق القديمة.

وجبران، [فضلاً عن] هذا، رسّام فنّان له مذهب قوّي يجعل منه بحقّ رجلاً من رجال الفنّ المرموقين في العصر الحديث، ليس فقط بين الشرقيين، بل أيضاً بين الغربيين. ولعله، في مدرسته الفنية هذه، أسمى أثرًا منه في مدرسته الأدبية، وأرسخ قدمًا، وأثبت أرضًا. فهو من هذه الناحية ثروة لا تزال بكرًا، لم يُتخّ للعالم العربيّ بعد، الوقوف على مقوماتها والكشف عن مكنوناتها وسبر أغوارها، وكلّها يصدر عن أصول فنية: شرقية وغربية، استلهمت فكرًا وحيزها فنًا. ولعله تأثر، إلى حدّ بعيد، بفلسفة نيتشه وتعاليمه. ولم نر من تصدّى لدرس جبران من هذه الناحية، أو تولّى الكشف عنه درسًا وتحليلًا ليزيح لنا الستار عمّا يجرّ تحت ريشته الفنية من ظلال وأنوار، وبهاء وسناء، ونور وحياة، قام كلّ على مبادئ وتعاليم من الفنية والتقنية فوق مذاهبه الأدبية والفكرية بكثير.

يوسف أسعد داغر،

"جبران خليل جبران، ١٨٨٣ - ١٩٣١" في مصادر الدراسة الأدبية، الجزء الثاني، الفكر العربيّ الحديث في سيرة أعلامه، الراحلون (١٨٠٠ - ١٩٥٥)، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات الأدبية، ٧، ١٩٨٣، ص ٢٥٠.

####

"أنت أوّل عاصفة هبّت من الشرق واكتسحت الغرب ولكتّها لم تحمل إلى شواطئنا إلاّ الزهور".

الرئيس الأميركي الأسبق ثيودور روزفلت،

صحيفة الأفكار، "عاصفة من الشرق هبّت على الغرب!"، العدد ٢٠٠، ٢١/٥/١٩٨٦.

####

كان همّ جبران أن يجسّد المُثُل، في حياته، فلا يكتفي بالحديث عنها خطابة وكتابة، ولا يقف عند حدّ معرفتها. فالكتابة عن المُثُل، برأيه، مجرّد كذب، ويبقى الأهمّ تقبّلها بمعايشتها. ولذلك رأيناه، بعد أن استعرض عبقرّيّات الأفراد، والشّعوب، والحضارات، والأديان، يرجع إلى نفسه التي التهبّت بمحبّة الشّمس، وعملت على التخلّص من براقعها. وكان من الطّبيعي، وقد ارتقى الوعي الجبرانيّ، وانحسرت أمواج العالم الصّاحبة مرتدّة خارج الذات المؤمنة بذاتها، الواثقة من تألّها، أن يكفّ جبران عن ذكر عبقرّيّات الآخرين، ليعبّر عن عبقرّيّته المتنامية والثّاققة إلى الأبعد والأنقى. فغدا من المستحيل، في كتاباته الإنكليزيّة، الانشغال بغير الذات الأعماق، لتحريرها وتحرير كلّ الدّوات في عالم المادّة. من هنا، وبدلاً من قراءة آراء جبران في الغزالي وبلبيك وابن الفارض... صرنا نواكب جبران كيف يحيا كتابته، بدلاً من كيف يكتب حياة الآخرين.

ربيعة أبي فاضل،

"في الكتاب إلى الحياة" في الفكر الدينيّ في الأدب المهجريّ (أعلام نماذج)، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجبل، ١٩٩٢، ص ٥٧٠.

####

ترك "النبيّ" أثرًا عظيمًا في الحياة الأميركيّة ولا يزال، إذ تأثّر الملايين بأقوال المُصطفى، وحاكوا أحلامهم من خيوط النور التي انبعثت من كلمات نبيّ أوفاليس. ولا مرّاء في أنّ جبران كان يمتلك موهبة خارقة في إدراك احتياجات عصره فيمنحه قسطه، وكانت تجرّنة الأدبيّة هذه آيةً في الإبداع، مثيرة إعجاب القاصي والداني.

تخطّى كتاب "النبيّ" حدود الزمان، وآفاق المكان، وتحوم اللغة. ففصول الكتاب الستّة والعشرون تتناول تلك المواضيع التي وصفها الناقد الأميركيّ روبنسون جيفرز بأنّها أبدية كالعشب الأخضر، لا تعرف الزوال، وباقية ما بقي الإنسان: الحب، والزواج، والأبناء، والعطاء، والمأكل والملبس، والعمل والمسكن، والجريمة والعقاب، والشرايع، والحريّة، والعقل، والهوى، واللذّة، والألم، والتعليم، والصدّاقة، والجمال، والدين، والموت.

سهيل بشروئي،

"جبران خليل جبران" في الأدب اللبنانيّ بالإنكليزيّة، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، ٢٠٠٠، ص ٨٨-٨٩.

####

أخي ورفيقي جبران

إنّ للشهرة يوماً، وإنّ للحزن يوماً، والباقي للبنان

لهذا الجبل العزيز الكريم الحنون الذي يضمك اليوم

وغدًا يضمّني، إليه

ومهما يكن من رسالة حملناها إلى الشرق والغرب

يُصِفُ الزمان

ومهما يكن من أدبٍ أبدعناه رافةً بالناس

يعدّلُ المستقبل.

إنّ ترابي غدًا في وادي الفُرَيْكَةِ يناجي ترابك

في الوادي المقدّس

من الصنوبر الذي يُظللُ ضريحِي

سيحملُ النسيمُ قبلاتٍ عطِرةً

إلى ضريحك في ظلالِ الأرز.

أمين الرّيحاني،

"إلى جبران" في المؤلفات العربية الكاملة (م ع ك)، ط. ١، مجلد ٤، هُتاف الأودية، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠١٦، ص ٤٠٠٥-٤٠٠٦/م ر (مقطع رقم) ١٨١.

###

(...) إته فيلسوفٌ بمعناه. لذا أتى أدبه كبيرًا. لكننا لم نعتد استشرافه، عندنا، إلا من جهة الأدب الصغير. في حين أنّه صاحبُ وحدةٍ فكريةٍ تُجيز لنا أن نمتشق ممّا كتبه نظرةً فلسفيةً صريحة. وقد امتشقناها في هذه الدراسة.

قلّةٌ من أدبائنا تنهت لوجود تطوّر متماسكٍ الحلقات في الأدب الجبرانيّ. من بينها أمين الرّيحاني وفليكس فارس. غير أنّ هذه القلّة لم تنقصْ خطوط الفلسفة الجبرانية. رأت أنّ جبران أكثر من أديب. لكنّها اكتفتْ بالتميح فقط، وتخيّرتْ جبران الأديب. ذلك ما ألقه الرأي العامّ. ودَرَج عليه. أمّا نحن فقد كشفنا عن الفيلسوف لدى جبران، وإن كان الصوغ الفلسفيّ لم يتوافر، عنده، كما توافر عند الفلاسفة الكلاسيّين.

كمال يوسف الحاج،

"جبران خليل جبران (١٨٨٣ - ١٩٣١)" في المؤلفات الكاملة، المجلد الحادي عشر، في الفلسفة اللبنانية (٢)، الطبعة الأولى، جونبة، بيت الفكر - أسبسيّة كمال يوسف الحاج، ٢٠١٤، ١١/موجز/١٠١٥ - ١٠١٦ (ص ٤٥٦).

###